الأحواز في مذكرات الرحالة الإنجليزي

جي.اتش. ستوشلر.اسحاق 1831

Fifteen months' pilgrimage through untrodden tracts of Khuzestan and Persia

J.H. Stocqueler, Esq.

ترجمة وإعداد: حامد الكناني

المقدمة

غادر كاتب هذه المذكرات،السيد جي.اتش. ستوشلر.اسحاق، الهند ، في فبراير 1831 ، باحثا عن طريق مختصر وسريع من أجل العودة إلى موطنة إنجلترا، لذلك بذل أقصى جهوده في القراءة الدؤوبة في كتب الرحالة لمعرفة مسار بري مختصر وآمن.. في الواقع لم يتمكن من تنفيذ خطته الأصلية ، فقد أُلقت به الظروف في أجزاء مختلفة من العراق والأحواز وبلاد فارس، وأماكن أخرى والتي وجد فيها اماكن لم يصلها الأوروبيون حتى ذلك الوقت.

نختار لكم هنا الجزء الخاص بالأحواز من هذه المذكرات والتي بدأت مع مغادرة الكاتب لمدينة البصرة العراقية إلى المحمرة ورحلته النهرية عبر نهر كارون لمدينة تستر التي لم تكتمل بسبب ظروف يأتي ذكرها خلال هذه المذكرات. وتقف عند مدينة "ويس". أجمل ما في هذه المذكرات هي زيارة هذا الرحالة إلى مدينة الفلاحية ولقائه بأمير بني كعب الأمير مبادر عام 1831 ووصفه بالرجل الليبرالي لسمو اخلاقه في التعامل مع الجميع خاصة الأجانب والرحالة. ثم ينتقل إلى ميناء معشور ومنطقة ده ملا في هنديان الواقعة شمال الخليج العربي. يتحدث الكاتب عن ثراء سكان معشور وازدهار اوضاعهم وعن كرم الاخلاق العربي الأصيل عندهم وعدم التعصب في الإمارة الكعبية بشكل عام وانفتاح المواطنين واحترامهم لبعضهم البعض وتقديرهم لأمرائهم والأجانب. والمشكلة الوحيدة التي واجهها هذا الرحالة في إمارة بني كعب هي عدم قبول عملة بلاد فارس حيث يذكر ان لا احد كان يتعامل بها. وأما الزي العربي الرائج لدى الشباب من الرجال والنساء أنذاك يرسمه الكاتب ويصفه بـ "زي الرجل الكعبي" و "زي المرأة الكعبية".

الأحواز في مذكرات الرحالة الإنجليزي، جي.اتش. ستوشلر.اسحاق 1831-1832

ترجمة واعداد: حامد الكناني

حان الوقت الآن للقيام بمحاولتنا الثانية للوصول إلى أوروبا عن طريق البر. اصبحت البصرة مكانا غير آمنا للعيش ولا تطاق نتيجة الهجمات اليومية لأهالي الزبير على المدينة ونهب منازل الأغنياء. يزعم شيخ الزبير بأن لديه مهمة من القسطنطينية لعزل حاكم البصرة وتعيين شخص آخر مكانه. الزبير هي مدينة على بعد ثمانية أميال من البصرة. كانت المدينة تحت حكم الأتراك العثمانيين ، لكن حقيقة الأمر اعتقد الزبارة أن المدينة أصبحت بلا حماية بسبب آثار الطاعون المخيفة، وأن الباشا العثماني في بغداد عاجز عن تقديم أي مساعدة. لقد بدأوا "هجومهم" قبل مغادرتي ، وقد دفع هذا الوضع المتأزم صديقي آقا فارسي (أرمني) لتحقيق مكانة جيدة هناك. عزز الدعم البريطاني له مصداقيته مع أهل الزبير ووسع من أعماله التجارية. وفي أسوا الظروف كان يحاول ابرام صفقة معهم ، مقابل الحفاظ على سلامة المقيمية والممتلكات البريطانية فيها. حيث يوجد في المقيمية ادوات للغوص وصناديق وحقائب وسلال. لا يمكنني القول ان الناس تثق ولم يظهر ازدراءً كبيرًا جدًا لتصرفات هذا الطبيب الوسيم. وكانت النتيجة ، كما علمت فيما بعد ، أن اهل الزبير انتهكوا الاتفاق المبرم وهاجموا االمقيمية. شخص مثل آقا فارسي لا يستحق الثقة التي يتمتع بها. يجب على حكومة بومباي أن تمنح المقيم نائبًا إنجليزيًا ؛ لأنه مطلوب منه أن يتنقل بين بغداد والبصرة ، وبصلاحيات محدودة ، ينبغي أن يكون في سلطته تفويض إدارة الشؤون في غيابه إلى شخص يتمتع بالثقة والحكمة.

بعد أن بدأت الاستفسارات حول الطريق الأكثر قبولًا وعمليًا إلى أوروبا من النقطة التي وجدت فيها نفسي الآن ، عرفت أنه لا يوجد طريق أكثر أمانًا من رحلة عبر نهر كارون إلى مدينة تستر ومن هناك إلى شيراز ، فقد قررت بسهولة أن أعتمد هذا الطريق حيث تتاح لي فرصة زيارة أنقاض الأحواز المشهورة (مدينة عسكر مكرم) في التاريخ الإسلامي.

بناء على ذلك اتفقت مع قبطان القارب الذي سافرت عليه، وغادرت البصرة في 7 مايو / أيار وأنا أرتدي ثياباً عربية. لم نسير أكثر من عشرة أميال حتى اعترضنا الزبيريون واوقفوا قاربنا. كانت لديهم مدفعية واحدة من ثماني مدفعيات كانت في حوزة متسلم البصرة ، أطلقوا رصاصتين علينا ، وأرسلوا شخصًا لركوب القارب ومصادرة ممتلكاتنا. كنا نرفض باستمرار دفع أي شيء ، كانوا يميلون إلى العنف ونحن أقل عددًا منهم وغير مسلحين ، حاولت أن أخبرهم أنني مواطن بريطاني ، لكنهم كانوا في البداية لم يصدقوا ، و من المؤكد أن مظهري يبرر عدم ثقتهم. وبعد ما اعلنا الاستسلام ، خففوا من نبرتهم وامتنعوا عن المزيد من العداء ، وواصلنا طريقنا مرة أخرى. عند وصولي إلى المحمرة ، قمت بتسليم رسائل إلى شيخ بني كعب ، حيث عيّن محافظا لي ، أو بالأحرى مرشدًا ، لحمايتي في حال ان تعرضت من قبل القبائل العربية القاطنة على ضفاف نهر كارون.

على بعد أميال قليلة من قرية في الحفار ، شاهدت بقايا بساتين النخيل المدمرة، ولم يكن هناك سوى عدد محدود من الأشجار والشجيرات البرية الأخرى على ضفاف النهر. نزلت من القارب وسرت على طول الشاطئ ، بينما قام رفاقي بسحب القارب برفق في الماء ، وأثناء المشي لمدة ساعتين ، عبرنا ما لا يقل عن خمسة مستنقعات جافة عبر القنوات القديمة بين الحفار والدريسية على الضفة اليسرى من النهر. القليل من الأشياء لفتت انتباهي أثناء الرحلة. يبدو ان الشواطئ مهجورة تمامًا ، وفي بعض الأحيان تجد أثر الظباء والأرانب وابن آوى والذئاب والأسود. ونادرًا ما يزعجك طائر السلام ، باستثناء الزقزاق الضال أو البجع أو البط البري.

وصلنا إلى الأحواز في 11 مايو ، ولم أضيع الوقت ، بمساعدة نجار يعيش هنا ، تحدث جيداً عن أنقاض هذه العاصمة. قارنت الموقع مع خرائط الأحواز التي وضعت في كتاب أسفار النقيب مينيان في الكلدية. يجب أن أشيد بهذا الضابط لكونه حريصًا في التحقيق. اعتقدت أنني يجب أن أخترق أقصى الشرق ، واستكشف بجرأة هذه المواقع الأثرية القديمة ، أكثر من ما فعله الكابتن مينيان. لكن بعد رحلة امتدت لثلاثين ميلاً ، تخليت عن خطتي، فمن الجدير بالذكر انني شاهدت بعض المخطوطات حول الأحواز من قبل الكتاب العرب.

في الزيارة القادمة لميناء معشور (على بعد سبعين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من الأحواز) وجدت أطلالاً مهمة تماثل تماماً تلك الموجودة في الأحواز وكانت مليئة بالفخار والزجاج الصوان ذي النمط الكوفي.

13مايو بعد صلاة العصر ، استعدنا لمغادرة الأحواز. زارني الشيخ مع عدد من الخيالة. يرافقه المرشد الذي جاء معي من المحمرة ، أخبرته أنني سأغادر الأحواز ، وأعطيته رسالة حسن سلوك ، وهدية صغيرة لكنه رفض الهدية بازدراء وذهب الجميع.

مباشرة بعد مغادرة الشيخ ورفاقه ، جاء في بالي وهكذا بال قبطان القارب أنه نظرًا لأننا لم نقدم هدية مناسبة للشيخ وللمرشد ، فمن المحتمل أن يوقفونا بمجرد وصولنا إلى المحطة التالية. ومن أجل معالجة هذه المشكلة ، أرسلت القبطان وخادمي الخاص للتفاوض وللحصول على موافقة الشيخ وكسب رضاه والوصول إلى حل مناسب وعدم متابعتنا.

كانت هذه المقابلة الثانية للشيخ الذي قبل كتاب الوكيل البريطاني الأرمني في البصرة ، معربًا عن عدم رضاه عن حقيقة أنني لم أكن في وضع مالي جيد.

لم يكن لدينا خيار سوى أن نتحمل هذا الشخص ، لقد تركنا الأحواز بقلق وخوف كبيرين. مخاوفنا كانت في محلها حيث في مساء اليوم الثاني و بعد أن تحملنا مشقة سير قاربنا ، وصلنا إلى قرية ويس، فوجدنا الشيخ ومعه حوالي عشرين من الرجال على ظهور الخيل في انتظارنا ، حيث طالبونا بدفع مائة قرش فورا وهم واقفون على الشاطئ ، وهددوا بأنه إذا لم يتم دفع هذا المبلغ فسوف يقطعون حنجرة الانگريزي (الإنجليزي) ومن معه ويصادرون ممتلكاتهم ويدمرون القارب.

الرفض ، والتهديدات ، والوعود ، كلها كانت بلا جدوى ؛ قطع الشيخ حبال شراع القارب بنفسه من الفناء الذي كان يقع في مقدمة القارب وخلفه ، وقام رفاقه بالتلويح باستخدام عشرات السيوف لتمزيق الخيام والشراع، وفي هذه الأثناء ، تدخل شخص ذو طابع شرير ، كان قد رافق قاربًا آخر جاء من المحمرة. قام هذا المخادع بالتفاوض معي ومع الشيخ المضطرب ، من اجل حفظ حياتي مقابل مبلغ بسيط. . وافق الشيخ على الفكرة وبمجرد الانتهاء منها غادر مع مجموعته ، وبقي المفاوض المخادع معي وسرعان ما ظهر ما يريده هذا الوسيط، كان حريصًا على الحصول على جائزة لائقة لنفسه ، حيث أراد يتركني أنا ومن معي تحت رحمة أهل قرية ويس. بعد أن مكث معي لمدة ساعة غادر ، لكنه عاد على الفور مع الشيخ وأتباعه ، ويبدو انه حرضهم وشجعهم على العنف.

لم نتمكن من التفاهم مع هؤلاء الأشخاص اطلاقا لذا اضطررت لاظهار مسدساتي ورمي حقيبتي على ظهر السفينة ، وقلت لهم انكم سرقتوا كل ما أملكه ، فإنني لا أملك أي شيء ثاني، وفي حال مشاهدة أي حركة معادية أخرى منكم، سوف اطلق النار على الشيخ وعلى الوسيط المخادع.عم السكوت على المشهد وحملوا الحقيبة وتذمروا وابتعدوا. لكنهم لم يسرقوا مرافقيني ونقودهم المخبأة تحت عمائمهم وأسرتهم.

بعد ما غادروا ، طلبت من الجميع مباشرة العمل ، حتى نخرج من وكر اللصوص هذا ، وننتقل على الفور إلى تستر لكن القبطان كان له رأي آخر. لقد كان على الشاطئ ، وعلم أن نيتهم كانت مهاجمتنا بالقرب من بنيد القار (بندقيل)، مؤكدا ان نجاتنا من مواجهة أخرى معهم قد تكون مستحيلة. ولم يبق أمامنا سوى العودة إلى البصرة وطلب التعويض عن الخسارة التي لحقت بنا. وافضل الأوقات للعودة تكون في ظلام الليل

سحبنا المرساة وجعلنا القارب أن يسير بصمت على مجرى النهر ، وربما كان من المفترض أن نهرب من دون علم احد ، لكن قوة التيار دفعتنا نحو الضفة ، على مسافة قصيرة أسفل القرية ، وبالقرب من بعض السكان ، وسرعان ما بدء الصياح والضجيج وصرخات "الفرنجي! الفرنجي!" ردد على طول ساحل النهر. أعطانا الخوف القوة. ورجعنا مرة أخرى إلى منتصف النهر المتدفق ، تعرضنا للهجوم على الفور بطلقات نارية من قبل المطاردين. كنا مستلقين في القارب ، وأبقينا أعيننا على حافة الضفة ، التي كانت تبعد حوالي خمسة عشر قدمًا من سطح الماء ، ولم نرد النار إلا عندما نتمكن من مشاهدة ظلال الرجال بيننا وبين السماء عندها نقوم باطلاق النار. استمرت المطاردة لمدة ساعتين تقريبًا ، دون أن يتسببوا في ضرر كبير أكثر من إصابة احدنا بجروح ، وثقب عددًا قليلاً من سارياتنا.

كان واضحًا جدًا أن أهالي ويس قد أبلغوا شيخ الأحواز أثناء الليل بانسحابنا ، لأننا عندما اقتربنا من البلدة الأخيرة فجر الصباح وجدنا الناس مجتمعة على الشاطئ لمشاهدة وصولنا. لذلك ظللنا نتتبع على الضفة المقابلة ، وكنا لا نستجيب لدعواتهم حتى قطعنا عدة أميال أسفل النهر ، عندما رأينا ، شيخ الأحواز العجوز بمفرده وغير مسلح ، عندها وافقنا على الاقتراب للساحل والحديث معه.

لقد طلب مني باصرار تغيير مسار القارب ومتابعة رحلتي إلى تستر ، وعرض عليه أن يرافقني وانه يضمن سلامتي ؛ قال إنه صُدم من سلوك أخيه ، شيخ ويس ، وكان على يقين تام من أن شيخ المحمرة ان علم بالموضوع وما جرى لي سوف يطلب رأسه ورأس أخيه. نظرًا لأنني لم اثق كثيرًا بتأكيدات هذا الرجل لذا تجاهلت توسلاته ، وواصلت رحلتي باتجاه المحمرة.

16مايو – وصلت إلى قصر الشيخ ثامر ، مقابل المحمرة ، ووجدت شخص يوناني طيب القلب ومحترم مقيم هناك ، اخبروني ان لا يمكنني العودة إلى البصرة لأن المدينة سقطت في الفترة القصيرة من غيابي ، في أيدي الزبارة. و الحاكم التركي ، أوالمتسلم، قد لجأ مع موظفيه إلى المحمرة ، حيث لم يوفر له الشيخ الحماية لهم فحسب ، بل أرسل مجموعة كبيرة من فرسان بني كعب لإخراج الزبارة من البصرة مقابل تعهدات مالية. احتلت الأطراف المتنافسة ضفاف شط العرب ، وبالتالي جعلت جميع الاتصالات مع البصرة غير عملية تمامًا.

الان أصبح وضعي صعبا ومزعجًا للغاية ؛ تعرقلت رحلتي مرتين؛ كانت أغراضي تتلاشى ، وأغلقت بوجهي جميع الطرق المعروفة والتي تساعدني في الوصول إلى اوروبا. استشرت صديقي اليوناني لايجاد طريقة ما لمواصلة رحلتي. كان نيكولاس *، أو "صاحب خان نيكولا" وهذا هو اللقب الذي منحه له فتح علي شاه حين كان يعمل في جيش بلاد فارس. نيكولاس من مواليد كورفو ، وعن أبًا إنجليزيًا وأم يونانية. كان قد تجاوز فترة شبابه الأولى في القوات البحرية في جزر الأرخبيل. حصل بعد ذلك على ترقية في فوج صقلية ، عندما كان اللورد ويليام بنتينك في صقلية ؛ زار إنجلترا كتاجر في الآثار الإغريقية ، ثم دخل جيش بلاد فارس ، بصفته ضابطًا على دراية بالتكتيكات الأوروبية وانتهت مهامه بعد الانضمام إلى فوج جبال البختيارية وأن يصبح قائدًا لهذه القوات.

ونظراً للخدمات الجيدة التي قدمها نيكولاس للقوات العسكرية، تم تعيينه حاكما على تستر؛ لكن الاضطرابات السياسية أطاحت بصديقي ، واضطر إلى التبعية لأمير بني كعب. نصحني هذا الرجل ، الذي تعاطف معي، وكان حريصا على دعم ومساعدة شخص من موطن والده، أن أغتنم الفرصة التي أتاحتها حرب بني كعب ضد الزبارة في البصرة لممارسة طبية مفيدة في معالجة الجرحى. واستفيد من تجربتي وأدواتي الطبية وان أضع خدماتي تحت تصرف الشيخ ثامر.

بدأت التجربة جريئة وحرجة لرجل مثلي، غير ملم على الإطلاق بأسرار الجراحة ، ولكن يبدو أنها توفر الوسيلة الوحيدة للحصول على مساعدة الشيخ في العبور من حدود بني كعب إلى بلاد فارس. تبعا لذلك انتظرت لقاء الشيخ ورتبت وضعي كطبيب ؛ عرضت حقيبتي الطبية (التي كانت ممتلئة جيدًا في البصرة) وشرحت له مزايا الكالوميل واللودانوم والراوند وغيرها من الأدوية.

لقد آمر الشيخ بحسن استضافتي، ومنحني سكناً لائقًا بالقرب من قصره ، وزارني مرتين. لا داعي لإرهاق القارئ بتفاصيل التجارب الفاشلة وغير العلمية التي أجريتها على الجرحى من بني كعب، وكم عدد الشظايا التي استخرجتها ، وكم عدد الكسور التي جبصتها ، وكم عدد البطون التي حاولت ترقيعها . ويكفي القول إنني سعيت جاهدا إلى منع وفات الجرحى وبذلت اقصى الجهود لانقاذهم. كان الشيخ سعيدًا جدًا بحماسي ، وأكثر من ذلك بعلبة المرهم التي قدمتها له كعلاج مفيد لضعف البصر في عينه اليسرى. لقد كان مصاب بنوع من العمى منذ طفولته ، لكنه اعتبر أنه من المعيب ان يقال له ذلك. قضيت سبعة أيام في توتر ، ثم انتظرت الشيخ في إحدى اجتماعات فترة ما بعد الظهر ، وحكيت له عن رغبتي في الوصول إلى مدينة بهبهان عبر إقليم بني كعب. وعدني بمرافقة آمنة إلى الفلاحية ، المقر الرئيسي لبني كعب؛ وكتب لي رسالة تعريف لأخيه الأمير مبادر أمير بني كعب.

في صباح اليوم التالي استعدت للمغادرة. وبمجرد أن تم إرسال الفطور المكون من لحم الضأن (لأنه كان عيد الفطر) ، انطلقت في قارب صغير ، مع مرشد ، ومعي الرسالة ، والسلاح ، وسجادة ، وحقيبة صغيرة من الملابس.

سرنا في نهر كارون لعدة ساعات ، حتى وصلنا إلى مصب نهر الجراحى ، بعدها اتخذنا اتجاهًا شرقيًا ، عبر مساحة واسعة من المستنقع الذي تسكنه الطيور البرية ، ومليئ بالبعوض المزعج الذي لا ينتهي، حيث جعل البعوض رحلتنا رحلة عذاب وانزعاح. حوالي منتصف الليل ، قمنا بنقل القارب إلى جانب بعض الشجيرات القوية على الضفة اليسرى ، وحاولنا الاسترخاء. وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي عاودنا متابعة الرحلة، ووصلنا إلى قصر الأمير مبادر، الواقع في أقصى شرق المدينة حوالي منتصف النهار.

* عاش نيكولاس أثناء إقامته في إنجلترا في الطريق التجاري ، وكان على دراية جيدة بمنطقة وايت تشابل وسكانها اللطفاء. علما ان منطقة وايت تشابل في لندن يرقد فيها عدد من أبناء الأحواز، الشهداء، توفيق ابراهيم , جاسم علوان , شايع حامد , عباس ميثم ومكي حنون والفقيدين عدنان سلمان و ناصر عوده، رحمهم الله جميعا.

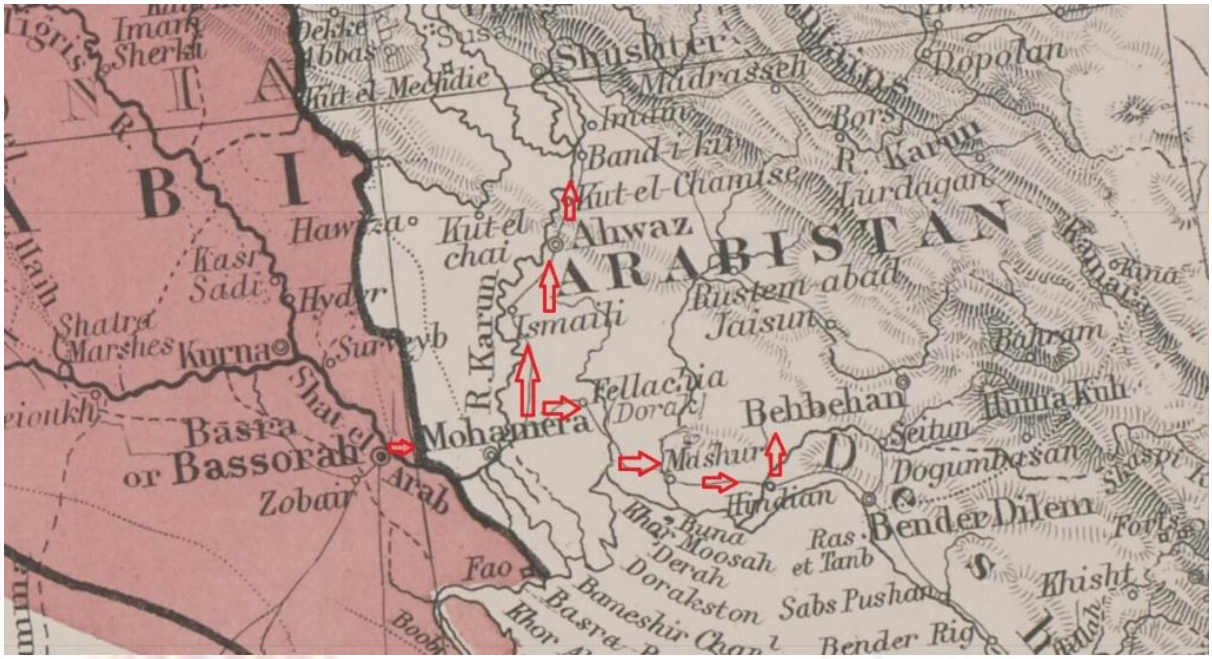

مملكة بني كعب – شيخ الفلاحية – استقبال المؤلف في بلاط بني كعب – مخطط البلاد ومواردها وأهلها ... إلخ – السفر إلى بهبهان.

الفلاحية ، وكما وصفها السير جون ماكدونالد كينر ، مدينة كبيرة جدًا ، لأن المنازل فيها متوزعة على مساحة كبيرة من الأرض ومظللة بأشجار النخيل ومليئة ببساتين الرمان الجميلة. حيث يؤكد هذا الضابط الذكي ، في مذكراته الجغرافية أثناء حديثه عن بلاد فارس ، يؤكد أن هذا المكان الذي يُدعى الفلاحية، اسمه الدورق وهكذا يجب ان يذكر في الخرائط وما إلى ذلك.

يختلف المظهر الخارجي لمنازل الفلاحية كثيرًا عن المنازل التي رأيتها في القرى الواقعة على طول نهر الفرات أو على شواطئ الخليج. هنا المنازل تشبه المنازل الإنجليزية ذات السقف المنحدر من القش ، ولكن من نواحٍ أخرى ، تستخدم الدور غير المعتاد للمنزل العربي ، حيث تصنع جدرانها فقط من طبقات سميكة من الطين، وسقفها مغطى بالقصب الطويل المخلوط بالقش. تمتد المدينة على ضفتي نهر الجراحي لعدة أميال، وهي مدينة نظيفة وصحية بشكل عام.

توجد داخل المدينة قلعة (حدود المدينة القديمة) محمية بجدار مرتفع وسميك ومحاطة بحوالي ميل ونصف. داخل القلعة ، على الضفة اليسرى للنهر ، يوجد الكوت أو قصر الشيخ ، والذي ربما كان مبنى جميلًا ومحصنًا ، لكنه الآن في حالة خراب طفيف.

وتوجد في وسط القصر ساحة كبيرة أو ساحة عامة، تشغل احدى جوانب حديقة الأمير ،المدفعية التي تتكون من نحو ثمانية مدافع برونزية ومدفعان برتغاليان من الحديد ذات أذرع معدنية جميلة. يبدو أن هذه الأسلحة استقرت في هذا الميدان لأكثر من قرن. ومع ذلك ، كانت في حالة جيدة جدًا.

بعد ما ارسلت مرشدي ، ومعه الرسالة التي زودني بها شيخ المحمرة إلى أمير الفلاحية ، تمت الموافقة بسرعة ، وتم إرسال حارس خاص إلى ساحل النهر لإرشادي وتوصيلي إلى مجلس الأمير. رأيت الأمير مبادر في الصالة العامة جالسًا بهدوء ، وعلى يساره رجل عجوز وسيم ، وعدد من الأتباع ذوي الثياب

الأنيقة يتكئون على رماحهم وبنادقهم ينتظرون الأوامر.المشهد يوحي لصورة نمطية عن زعيم شرقي وأتباعه:

"وكأنما ألف محارب كانوا في حالة استعداد لتنفيذ أوامره. إن قال، ايها الفارس ، انطلق، فيذهب – وان قال، تعال، يتقدم للأمام."

رغم زحمة المجلس ، استقبلني الأمير مبادر بحفاوة عند مدخل الديوان. وبحسب قوله ، فقد أبلغه شقيقه بالخدمات الجليلة التي قدمها صديقه "الحكيم" ،وكان سعيدًا بخدمتي له معبرا عن امتنانه.

قال الأمير مبادر: لكن لماذا ترتدي هذه العمامة والعباءة وتضع اللحية؟.!

أنت الآن لا تشبه الافرنج. أجبته ، نعم وبالضبط هذا هو سبب ارتدائي للملابس العربية. قال: إذا كان هذا السبب، تجاهل قلقك واترك الخوف فورا. سأريك أنه من الممكن السفر بأي زي تشاء عبر حدود بلادي. واضاف ، غيّر زيك ، وانعش نفسك بالطعام والنوم ، وعود لي مرة أخرى، بعد صلاة العصر. ثم أمر بتزويدي بلحم الضان وكمية من الأرز ، والفاكهة ، والطيور ، والقهوة والحليب ، وكان الخدم ينتظروني ، حيث خصص منزلًا خاصا لاقامتي.

في الساعة المحددة قمت بتجديد زيارتي بالزي الأسود. كان الشيخ يمسك بنوع من السد في شرفة فسيحة أمام الجناح العائلي ترتفع عن الأرض حوالي ثلاثة أقدام ، وينظر إلى ساحة القصر. ثلاثة أو أربعة صقور جميلة كانت جالسة بالقرب من الشيخ ، وكان يربت على ظهر اثنين من الكلاب السلوقية المدربة.

يقف في مدخل الديوان حارس قوي ، وكان عدد من القيادات قد حضرت لتقديم تقارير عن الإجراءات التي اتخذوها لتعزيز القوات في المحمرة ، أو ينتظرون التعليمات من الأمير. تم استقبال هؤلاء القادة وفق رتبهم، ويظهر مدى احترامهم وحبهم للأمير من خلال حماسهم لمعانقته. اصحاب الرتب العليا انحنوا وأخذوا أماكنهم ، وآخرون تقدموا وقبّلوا يد الأمير ، بينما ركع الضباط الأكثر تواضعًا على ركبة واحدة، لأداء للتعبير عن الاحترام.

مع ذلك، لاحظت أن كبار السن يحظون دائمًا بالاحترام الكبير في هذا المجلس الصغير، لأنه عندما أتي رجل طاعن في السن ، قام الأمير من مكانه وعانقه ، على الرغم من أن هذا الرجل المسن لم يبدو شخصية مهمة.

حين شاهدني الأمير بالملابس الأوروبية رحب بي وقال، "جيد، جيد، هذه هي هويتك. لقد مر وقت طويل لمأرى رجل إنجليزي ، لكنني لا أنسى أنهم أمة عظيمة ". ثم تحدث معي حول خططي المستقبلية لتكميل رحلتي ، وزودني ببعض التعليمات للمرور عبر إقليم بني كعب. وتحدث معي عن الصيد ، وبشكل خاص عن الصيد بالصقور ، أخبرني أن الصحارى مليئة بالصيد، وأنه إذا بقيت معه ، فسوف أرى كيف قطعان الظباء تسقط في مخالب صقوره الأصيله.

كان يستفسر عن رياضاتنا الميدانية ، لكنه أظهر القليل جدًا من الاهتمام بالأمور الأكثر أهمية ؛ لأنه قال: "أنا بالفعل على دراية جيدة بكل ما يتعلق بالأوروبيين وإمبراطورياتهم."

مع اقتراب اليوم من نهايته ، أعربت للأمير عن رغبتي في المغادرة ، وفي نفس الوقت قدمت عرضًا لخدماتي بالطريقة الطبية له ولحضار مجلسه. أمر على الفور بتجهيز قارب لي ، ليأخذني إلى أقرب قرية ، مزودًا جيدًا بالخيول ، وعين زميلًا شابًا جيدًا لمرافقتي.

لم احصل على الحماية من المخاطر خلال رحلتي المرتقبة فحسب، بل وفر لي الأمير مبادر كل ما احتاجه لمتابعة رحلتي والوصول إلى بهبهان مجانًا. ثم طلب مني أن أفحص عيني وزيره الضعيفة والمريضة. لقد قمت بفحصهم ، ولأنهم تأثروا بشكل واضح ، (على الرغم من أنني بالطبع لم أكن أعرف بأي طريقة أو كيفية تطبيق علاج ناجح) ، فقد قدمت له زوجًا من النظارات الخضراء. وفي وقت متأخر من المساء ، عبرت عن احترامي وتقديري لمضيفي الليبرالي ، وغادرت.

مبادر ، أمير بني كعب ، هو أقوى زعيم عربي في منطقة تقع جنوب غرب بلاد فارس. قد تصل عائداته ، عن تصدير التمر ، وصناعة البشوت، والجمارك المفروضة على الواردات الهندية ، إلى ما يعادل ستين ألف تومان سنويًا.

يحظى بتقدير كبير من قبل جميع القبائل ، الذين يسافرون إلى الفلاحية بناءً على استدعائه ، حاملين معهم سلاحهم الحربي. وبهذه الطريقة يمكنه قيادة ستة أو سبعة آلاف من الفرسان ونحو خمسة عشر ألفًا من المشاة ، اضف إلى ذلك العناصر المتجولة في صحراء بني كعب.

الأمير مبادر وسط القامة ، ذو وجه بشاش ، وسلوك رفيع. ومن المعروف أنه يمتلك الكثير من طيبة القلب ، وفي نفس الوقت يمتلك شجاعة الأسد. إنه ليبرالي ومتسامح وحريص على التقدم والعمران في بلاده، وبهذه النظرة كان يشجع الحرفيين والأجانب ومنهم الأوروبيين على اللجوء إلى أراضيه. أثناء زيارتي للفلاحية شاهدت هناك أثنان من الروس، لكن هؤلاء المساكين كانوا قد تحولوا إلى الإسلام ، ويبدو انهم كانوا يعيشون حياة بائسة ، فمن جانب كانوا يتمتعون بحماية الشيخ ودعمه لهم ومن جانب آخر كره أتباعه. لغة بني كعب هي العربية. لكن المسافركل ما يتجه شرقًا ،يجد ان هذه اللغة تتزاوج تدريجيًا مع الفارسية.

يرتدون القباء، أي البشت وهو ثوب يلبس فَوق الثِّيَاب أَو الْقَمِيص ويتمنطق عَلَيْهِ، أو قميص طويل من الخام الأخضر (زبون- صاية- كندورة) ، وحزام و سروال ، والصندل (النعال) وعمامة أرجوانية من القماش وهي نفس العمامة العربية. كما يرتدي الشيوخ فساتين مطرزة باللون القرمزي والذهبي في المناسبات غير العادية ، ولكن في الأيام العادية ، يرتدون ملابس باللون القرمزي المتنوع والمزركش بالخيوط الذهبية. لقد رفضوا عمومًا جميع الهدايا التي قدمتها لهم ، خوفًا من الإساءة إلى أميرهم القوي ؛ ومع ذلك ، فإنهم ، في كل بلدة تقريبًا ، يلمحون إلى المسدس أو الأسلحة النارية ستكون مقبولة.

رحلتي من الفلاحية إلى بهبهان تمر أولاً عبر قناة ، أو فرع من نهر الجراحي ، يمتد جنوباً إلى الخليج حتى الوصول إلى قرية الجادي ، ثم نسير شرقًا بالطريقة الموضحة في الخريطة الملحقة بهذا المجلد. الطريق الذي وجدته لم يقطعه أي شخص إنجليزي من قبلي ، لم تتوفر إلا القليل من المعلومات حول بلاد بني كعب.

ارجوا من القارئ أن يسمح لي بتقديم بعض المقتطفات من تدويناتي ، حيث من المحتمل أن تنقل نصًا أكثر دقة لأفكاري وملاحظاتي ، من السرد.

24مايو – غادرت الفلاحية في وقت متأخر من المساء ، وبعد أن مررت بسلسلة من بساتين النخيل الكثيفة والممتدة على طول ضفاف النهر المنخفضة و بعد ما اتسع النهر قليلاً واصلنا طريقنا لمدة ساعتين ، بعدها أوقفنا السد وهذا السد مشيّد من القصب الجاف ، مثبتة أوتاده في قاع النهر ، ويقع بجانب قرية القرينة. هنا قفز مرشدنا على الشاطئ ، وذهب إلى القرية للحصول على أشخاص يساعدوننا في رفع القارب فوق السد. جاء على الفور خمسة عشر رجلاً ، حاملين معهم الفاكهة والحليب من أجلي وطاقم

العمل أثناء العملية. بعد أن تم نقل القارب للجهة الثانية من السد ، واصلنا الرحلة حتى وصلنا إلى قرية الصفيرة، حيث توقفنا عن العمل واستلقينا طوال الليل.

25مايو. – بدأنا مرة أخرى ، وقمنا برحلة لمدة أربع ساعات حتى وصلنا الجريبة ، وهي قرية صغيرة بيوتها من القصب وعدد قليل من المنازل الطينية ، حيث طلب مرشدنا من أهل القرية إعداد وجبة إفطار من الخبز الحار والزبدة الطازجة والحليب والبيض المسلوق.خلال الرحلة، التقينا بقاربين أو ثلاثة قوارب مليئة برجال مسلحين في طريقم إلى الانضمام إلى القوات المعسكرة في المحمرة. مررنا أيضًا بالعديد من الفرسان المسلحين على الضفاف ، وقد وجّهنا إليهم التحية "السلام عليكم" بعد الإفطار واصلنا طريقنا ، وفي الساعة الحادية عشرة صباحًا. وصلت إلى قرية الجادي، حيث اشتريت الخيول ؛ لكن ليس من دون صعوبة ، لأن كل أموالي كانت من العملات المعدنية الفارسية ، وكان السكان يرفضون العملة الفارسية ويتعاملون فقط بالعملة التركية العثمانية. لم تكن هذه المشكلة التي واجهتها بل هناك مشكلة أخرى حيث رفض الناس في البداية استقبالي ، وحتى تزويدي بأي مؤن ، كانوا يتذمرون ويرفضون دخولي إلى منازلهم. تغلب المرشد على كل هذه القضايا ، وقام باستئجار الخيول وستة من الحراس المسلحين وذلك على كفالته الشخصية التي تم قبولها . وهنا بدأت رحلتي على اليابسة. كان فريقنا يتكون من مرشدي وأنا وخادمين ومالك الخيول وشخص آخر جاء لمساعدته. كنا جميعًا على ظهر الخيول ومسلحين جيدًا ، علاوة على ذلك ، رافقنا ستة من الفرسان سيرًا على الأقدام. كانت رحلتنا تقع مباشرة شرقًا عبر سهل مستوٍ ، وبقدر ما كان يسمح لي ضوء القمر لم اشهد فيه أي شجرة أو أشجار أو أعشاب.

كانت مرتفعات زيتون ، باعتبارها السلسلة الأولى من جبال البختيارية ، تقع على يسارنا ، ويبدو أنها تتخذ اتجاهًا جنوبيًا شرقيًا أبعد مما يمكن للعين المجردة أن تصل إليه. حوالي الساعة الثالثة صباحًا وصلنا على بعد أربعة أميال من بلدة ميناء معشور (المتاخمة للبحر)، ونمنا حتى وجدنا ضوء النهار محاطًا بخيولنا ، والتي تغذت من بعض الأعشاب القليلة. عند معاودة الرحلة ، تصورت أننا لم نكن على بعد نصف ميل من معشور ، وبدأ لي الميناء قريبًا جدًا ؛ لكنني وجدت بعد ذلك أن هذا كان "سراب" مجرد وهم بصري شائع في هذه الصحاري المنخفضة، ومزعج بنفس لوقت.

معشور هي بلدة بمساحة ميل واحد ومحاطة بأسوار. يقال أنها تضم حوالي ألف نسمة ، معظم سكانها منخرطون في التجارة. أوضاعهم جيدة وحالتهم بعيدة كل البعد عن البؤس. لأن منازلهم ، على الرغم من صغر حجمها ، مؤثثة جيدًا بالاثاث الأوروبي ، وملابسهم باهظة الثمن. لا توجد مياه عذبة هنا ، باستثناء المياه التي يتم توفيرها من بضعة آبار مباشرة داخل أسوار المدينة ، وهي قليلة الملوحة وغير صحية تقريبا. على بعد مسافة قصيرة من المدينة توجد بعض المواقع الأثرية التي زرتها ؛ والتي ، كما لاحظت بالفعل ،ودون أدنى شك أنها استمرار لمواقع الأحواز الأثرية. حيث المواد المستخدمة في الجدران والأعمدة ونوعية الاسقف تدعم بقوة هذه الفرضية.

كان الشيخ علي في معشور، شخصية محترمة، حيث بذل هو ، وزوجته وابنه وابنته وزوجة ابنه، جهودًا كبيرة لتكريم ضيفهم الإنجليزي ، ويستحق هذا الرجل تقدير الأمير مبادر. كنت في غرفة صغيرة، غرفة لتخزين الحبوب، خمسة عشر قدمًا في ثمانية بداخلها جرارتان أسطوانيتان من الطين يبلغ ارتفاعهما سبعة أقدام تقريبًا ، ومملوءتان بالدقيق. حرارة الأحواز لا تطاق ؛ ولكن بما أن الابنة الصغرى للشيخ ، البالغة من العمر ثلاثة عشر عامًا ، هي التي شجعتني على مقاومة الحر، فقد حاولت الحصول على القليل من الراحة.

تتمتع النساء في الإمارة الكعبية بدرجة أكبر من الحرية مقارنة بالفرس أو الأتراك. النساء هناك لا يرتدين البرقع حتى في الشوارع العامة ، ولا يترددن في الحديث مع الجنس الآخر في حدود رعاية الحياء والأدب.

زيهم ، على ما أعتقد ، رائع إلى حد ما. لقد حاولت أن أنقل فكرة عن هذا الزي في الرسم الذي يشكل واجهة المجلد الثاني.

استغرقت إقامتي في معشور يومين وليلة. ثم استأذنت من مرشدي القديم ، ورافقني ابن الشيخ العجوز ، ومجموعة من مسلحي بني كعب ، وتوجهت إلى ده ملا*. ده ملا هي مدينة كبيرة على الضفة اليسرى لنهر الطاب ، أو نهر هنديان، على بعد ثمانية فراسخ من ميناء معشور و محاطة من ثلاث جهات بجدار من الطين والحجر ، ومن الجهة الرابعة يقع النهر. يوجد فوق المدخل الرئيسي ، برج دائري مرتفع ، ومجهز بالاسلحة من خلال فتحات دائرية للدفاع عن المدينة ضد الهجمات. وفي الواقع ، تشكل هذه النوعية من الأبراج الدفاعية سمة مميزة لكل بلدة وقرية في جميع أنحاء مملكة بني كعب ، ويساعد المسافر على الوصول إلى وجهته عبر مشاهدة الأبراج من بعيد ، دون الحاجة لمعرفة المسار.

مكثت يومين في دير مولى (ده ملا) ، خلال هذه الفترة خرجت مع الشيخ أحمد ، الحاكم ، الشاب الوسيم وصاحب الاخلاق الرفيعة بشكل ملحوظ ، لزيارة مخيم (الزعابيين) ،الذي كان يرأسه حفيد الأمير مهنا (الزعابي) الشهير.

في الكثير من الأحيان وبصورة جيدة ، تم وصف المخيمات العربية بحيث لا اود ازعاج القارئ بأي سرد جديد في هذا الخصوص. كانت هناك النسبة المعتادة للإبل والماشية والأغنام والخيول. وعدد السكان حوالي أربعة آلاف حيث يسكنون بيوت من الشعر (الخيام لسوداء). استقبلني الأمير (الزعابي) بلطف واضح في خيمة طويلة مفروشة بالسجاد جيدًا ، وكانوا يرتدون ملابس زاخرة بالألوان.

سبب زيارتنا للأمير (الزعابي) وعكة صحية تعرض لها الأمير ولذلك فتحت حقيبتي الطبية وعدت إلى العمل بمجرد تقديم الغليون (الشيشة) والقهوة ؛ لكن الأمير كان في البداية غير واثق إلى حد ما من العلاجات التي قدمتها له ، وطلب مني ان اتذوقها أولا ، لكي أعطي ضمانًا لسلامة الجرعة عن طريق أخذ الجرعات بنفسي، من علاجات مثل سانجراد وغيره من الأدوية ، من الممكن كان وضعي افضل لو كان هناك وسيط لتجريب مهاراتي الطبية ولكن هنا لا يوجد اي وسيط في متناول اليد ، وبالتالي لا يمكن اكتساب ثقة مرضاي إلا من خلال بذل المزيد من الجهود وخوض التجربة . ابتلعت كمية من الجلاب والكالوميل ، ثم أصبح الأمير (الزعابي) مقتنعاً بأخذ الجرعات.

في المساء وحين انخفضت درجة الحرارة، استأذنا أنا والشيخ أحمد ومجموعة صغيرة من بني كعب من الأمير وخرجنا بجولة على ظهر الخيول. امتطى الشيخ ومرافقية أنبل الخيول العربية التي رأيتها في حياتي ، وقاموا بحركات بهلوانية على طوال الطريق ، كانوا يتسابقون من بعضهم البعض بمرح ، وأنا ايضاً كنت احمل السيف والمسدس وكأنني كنت في عملية غزو ، ولكن كبح جماح خيولهم عندما كنت قد اقتربت من رأس حصاني.

كانوا جميعًا رجالًا مبتهجين مفعمين بالنشاط والحيوية ، وكانوا سعداء بالحداثة المتمثلة في وجود شخص إنجليزي ، مرتديًا زيّه الوطني ، كضيف في بلادهم. بدوا مغرمين بشغف بخيولهم ، وكثير من الخيول تتبعها المهور التي ولدت خلال العامين الماضيين. أضاف الصهيل والمرح الصادر عن هذه المهور من جمال المشهد إلى حد كبير.

تشتهر مملكة بني كعب بامتلاكها لسلالات من الخيول العربية. لقد رأيت في الهند العديد من النماذج الرائعة من السلالة النجدية، لكنني لا أعتقد أنها ضخمة و قوية مثل حصان الأحواز. العدد الأكبر من هذه الخيول كان ذات لون رمادي ، ويشبه الحصان التركماني الذي قادر على تحمل الضغوط والمتاعب. لا يبدو أصحاب الخيول والمربون لديهم رغبة في تصدير خيولهم من أجل الربح التجاري. لأنه عندما

أخبرت أحد المرافقين أنني متأكد من أنه سيحصل على ألفي روبية على الأقل للحصان الواحد ، أجاب "لن أبيعه مقابل عشرة آلاف."

30مايو. – منذ الصباح تركت دير مولى (ده ملا) برفقة الشيخ ووزيره ومجموعة صغيرة من المسلحين للانتقال إلى الزيتون. كان من الضروري أخذ الحيطة والحذر ، سلكوا طريقًا ملتويًا ، لأنه في هذه الفترة هناك خلافات بين بني كعب وحاكم بهبهان، بيكلربيك، وكانوا يحاذرون من وقوع مناوشة عسكرية إذا واجهوا أي جنود من جنود حاكم بهبهان.

زيتون تقع شرقي دير مولى (ده ملا)، بدأت وكأنها ذات وضع صعب للغاية ، لكنها أصبحت تدريجيًا تتخذ طابعًا أكثر رفاهية. على بعد ميلين جنوب شرق المدينة ، دخلنا إلى حقول قمح واسعة والأرض كانت مليئة بالعشب والأشجار العالية. الكثير من طيور الحجل والزقزاق دون خوف ركضت أو طارت أمامنا مباشرة. عبرنا نهر الطاب على بعد سبعة أميال من دير مولى، لكن النهر كان ضحلًا لدرجة أنه لم يصل إلى بطون البغال. لقد سبقتنا هنا اسراب كبيرة من الجراد حيث أكلت الكثير من الأعشاب البرية التي تفوح منها روائح عطرة.

سيكون من غير الضروري سرد تفاصيل الرحلة عبر مختلف البلدات أو القرى الصغيرة في ولي آباد وباغ دادي وجهار خانه رود وچم كرته، لأنها لم تقدم سوى القليل من التنوع. لم يكن هناك اختلاف في السمات الرئيسية لهذه المناطق الثلاثة الأولى ، والفارق الوحيد يقع في چم كرته، حيث الزي يتغيّر ويشير إلى أننا وصلنا إلى منطقة جديدة. القبعة (الكلاه) المصنوعة من لباد الإبل ، هنا تحل محل العمامة العربية المصنوعة من قماش الليلك بالكامل ، ولم يقر سكان (چم كرته) بأي ولاء لأمير بني كعب. لقد لاحظت بدقة قدر ما تسمح به وسائل الملاحظة ، المواقف النسبية لهذه الأماكن ، ويمكن أن أذكر أن التربة غنية ومغطاة بالشجيرات والأعشاب بين ولي آباد و چم كرته ، لكنها جبلية وقاحلة وصخرية بشكل ملحوظ بين چم كرته وبهبهان. في الواقع ، كان الطريق من بلدة إلى أخرى يقع على مسافة كاملة تقريبًا عبر مجموعة من التلال الوعرة التي اعتبرها الجغرافيون حتى الآن ومن دون سبب جزءا من مجموعة جبال البختياري لكنها تتقاطع معها من خلال سهل كبير جدًا. خاصة وأن أفضل السكان الأصليين المطلعين يطلقون عليها دائمًا تلال الزيتون ، لتمييزها عن تلال دهدشت التي تمتد جنوب شرق وشمال غرب بهبهان ، والتي تتميز أيضًا عن السلسلة التي يطلق عليها البختياري بشكل صحيح.

زيتون ، الذي حدده الكولونيل ماكدونالد في خريطته كمدينة معينة ، هو في الواقع يطلق على الفرع الشرقي بأكمله من أراضي بني كعب ، وهو محاط بالقرى الصغيرة ، وتكثر فيه ينابيع المياه العذبة.

انتهى.

*وردت في المذكرات تسمية "Dere Mullah" بدل "ده ملا" واعتقد ان الأسم التاريخي وفق هذه المذكرات هو "دير مولى"، على غرار "دير اخوين" و "دير عاقول" ودير خزيمة".

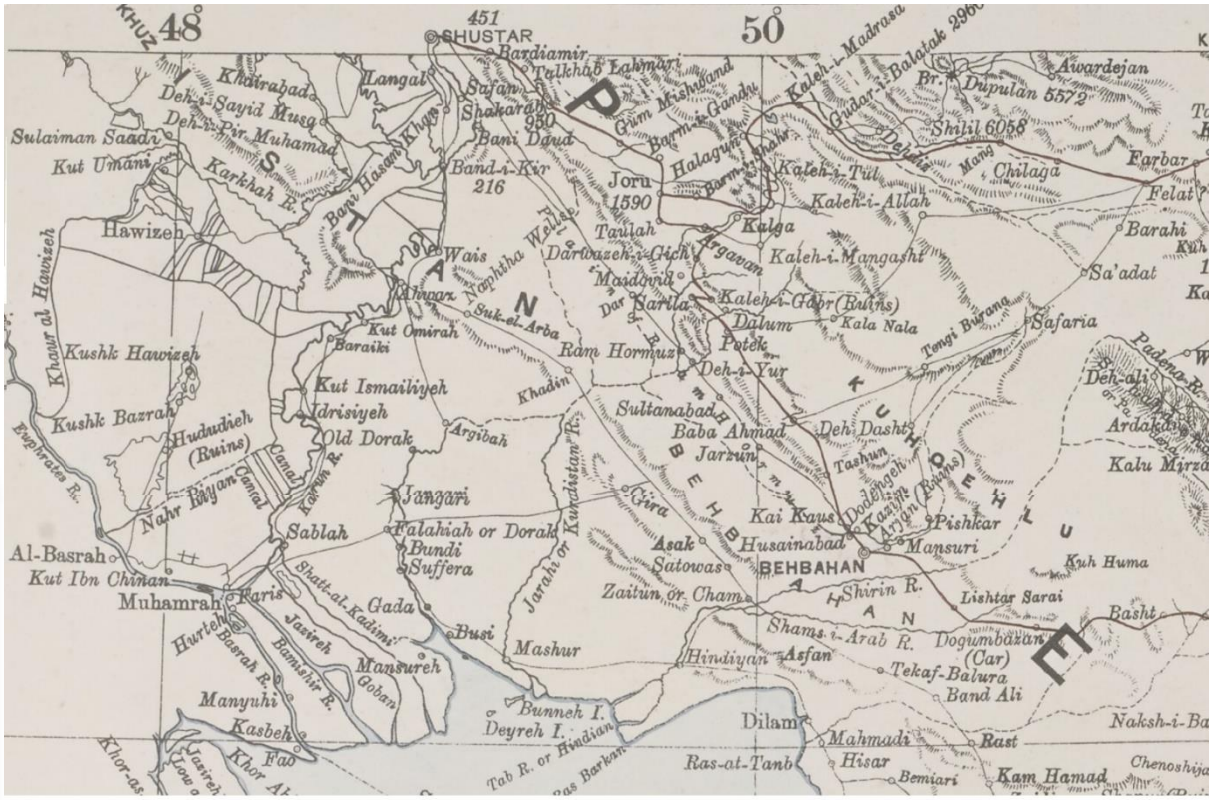

هذا جزء من خريطة بريطانية تعود ليوليو عام 1883 وفيها أسماء المدن والمناطق والقرى التي ذكرها الرحالة في مذكراته